

الرئيسية

سياسة

السعودية

اقتصاد

رياضة

ثقافة ومجتمعات

مقالات

مدرسة الحياة

نسخ «الحياة»

الكل


 الكل "الحياة" الدولية مجلة "الوسط" "الحياة" السعودية

الرسام العراقي سعدي الكعبي آتياً من حضارة بابل

تفاصيل النشر:

المصدر: الحياة

الكاتب: مهى سلطان

تاريخ النشر(م): 7/2/2005

تاريخ النشر (هـ): 28/12/1425

منشأ:

رقم العدد: 15287

الباب / الصفحة: 20 - آداب وفنون

"ليست الحياة في بغداد سوى قدر مكتوب على صفحة العمر، نعيشها بين الخطر وصفارات الإنذار والقصف والنوم على السطوح في حلقة الظلمة"، يقول الفنان التشكيلي العراقي سعدي الكعبي، الذي عاد إلى بيروت بعد طول غياب، ليقدم معرضاً لأعماله الجديدة 18 لوحة- أكريليك على قماش في غاليري "أجيال". وهو جاء مصحوباً بأطبافه الإنسانية، ونوافذ ذاكرته وأحلامه الحزينة المطعونة بالألم. فالأشكال التي يواظب على رسمها كخطوط خارجية، تروي حكايات الوجود المتأزم، المنقل بالقلق والخيبات والتمرد في آن واحد.

من الحضارة الطينية يخرج إلى العيان ملوك الأمس وملكانته، على قطع من بلاطات المعابد القديمة. إنها تربية الأشياء، التي تعبر عن مضامين حضارية، ذات طابع تاريخي تطل من خطوط، كالحبال يشكّلها على هيئة قامات إنسانية. فيتراءى الكائن متوحداً، يتلمس عطر الحب في جدائل امرأة، أو أسيراً يقف وحيداً كظل، وفي مرآته تتضاعف صور عشرات الرجال الذين يشبهونه في تلاشيه.

على ضفاف دجلة والفرات تتأخى الحياة والموت، وكذلك الظل والنور، والذاكرة والنسيان. فالذكريات المبعثرة عن خرائط الأمكنة تحملها اللوحة، كما لو أنها سطح لرقم قديم، تنبثق منه عائلات الوجوه المعذبة، التي تظهر وكأن الفنان يحفرها، بيديه وليس بالريشة. فهي مكسوة بألوان أحادية من الرمادي الرصاصي أو الترابي، بما يوحي بأنها قادمة من أزمنة سحيقة وضائعة، حيث لا حدود تفصل بين شواهد المعاناة في تراب التاريخ وعراء الأجساد في الزمن البابلي الراهن. ويتخذ الرسم أكثر فأكثر ألوان الغياب.

سعدي الكعبي من أبرز الفنانين العرب الذين اشتغلوا على إحياءات السطح التصويري، من خلال قشط الطبقات اللونية، عن القماش المشدود إلى خشب. فأعطى لوحته ملمس الجدار، بكل ما يحمل من شطوب وأثلام وأثار من علامات الزمن. وفيما عزف معظم الفنانين عن هذه التقنية، ظل الكعبي من أبرز المحافظين عليها، فأضفى عليها شيئاً من شفافية التيسيط والنورانية الخفية. إذ طالما تأثر بالباروليفيف، الذي يميز حضارات بلاد ما بين النهرين، وغرق في تأملاته للرموز التي ترسل أنظارها إلى ما بعد الأفق. ويتساءل: "كيف يضاف هذا السحر إلى العمل المعاصر، وكيف يمكنه أن يندمج مع روح الخط العربي الذي يعبر عن الحضارة الإسلامية، في نطاق واحد؟ هذه الكتابات التي تزين أفاريز المساجد والأضرحة، لم أقرأها في حياتي، لأنها مستعصية، لكنني أكن لها قدسية واحتراماً لأنها موروث ديني وحضاري، وقد شاهدهت كتابات مثلها في المغرب والهند وبنغلاديش، وهي فضلاً عن تساميتها، تمثل قيمة جمالية شكلانية بحتة، جديرة في أن تدخل اللوحة المعاصرة، كي تعلن محلّيتها".

هكذا بين طلائم الكتابات حيث يقف الزمن العربي، وسحابات الظلال الرمادية التي ترفرف بأرواحها الخفيفة على الأمكنة، تمضي قامات سعدي الكعبي، إلى عذاباتها وهي تعيش مرارة الأسر في زمن الاحتلال. فالمعنى المتواري يطيل في بساطة التعبير، وكذلك في الصمت المترفع، والصراخ الداخلي المكتوم، وعلى رغم أن إنسانته يحمل شهادة الموت لكن ليه لا يخلو

من نبض الحياة. لذا فالشاهد هو شهيد، حين تتشابه القامات وتتناسخ، ككتل لا تمايز فيما بينها، ولا خصائص، بل هي مجرد كتل بشرية مقيدة بسلاسل أقدارها وهي تميل ميلاً عظيماً في لحظة ما قبل السقوط، ويظل الإبهام يحوط صفوف الناس المذهولين من هول الفاجعة.

في أعماله الجديدة يقطف الكعبي شفافية الألوان الشاحبة والمضيئة، لملامس الغرائب والطين، في تكشف لغته التعبيرية الجرافيكية، هذه اللغة القائمة على الخرطشة والمحو والتشفيف، مما يعطي خيوطه وسحابات دخانه وأشكاله وفراغاته جماليته من الغموض الذي يكتنف عادة سحر ملمس القطع الأثرية القديمة.

لا شيء في لوحاته سوى خواء الشكل الإنساني وخواء الإشارات التراثية. إشارات المربعات والدوائر والخطوط النازلة كسهام أو المتتابعة كقيود، فعنصر المكان، يتمتع بخصوصية تتم عنها الكتابات العربية المحفورة على جدران الأمس. والانتقال من تكوين إلى آخر، هو أشبه بالتجوال بين جدران بابل الممسوحة، جدران الأسر والمعتقلات، المغمورة بظلال الملاحم والأساطير، بين ضبابية التاريخ وغبش قرن جديد انصف منذ مطلعته بالشؤم والويلات والحروب.

في لوحات الكعبي تقف الظلال وحيدة بصمتها الموجه والمرير. فرؤوس القامات تطل واحدة تلو أخرى خطوطاً ملتوية، تلتف حول الأعناق مثل حبل الموت، بينما تظل النوافذ خرساء والأبواب موحشة. فثمة صمت يكتنف المشهد الجنائزي للشهداء، شبيه بالصمت المسرحي الهستيرى أمام كابوس أعمارهم الضائعة. كما لو أن الكعبي يستعيد القامة البابلية في تشابه معاناتها والامها في الأسر وفي محاولة تغلبها على الفناء المحتوم. فالقامات لا تقف على أبواب الماضي التي أتت منه، بل على أبواب التبدد والضياع، كي تبقى متأرجحة في رحلة عذاباتها، مثل جلامش في رحلته إلى الظلام السفلي.

الرئيسية

سياسة

العالم

العرب

الخليج

اقتصاد

العالم

العرب

الخليج

ثقافة ومجتمعات

العالم

العرب

الخليج

السعودية

الرياض

الشرقية

مكة المكرمة

مناطق أخرى

رياضة

العالم

العرب

الخليج

مقال وتعليق

مدرسة الحياة

موقع الحياة | PDF - النسخة الدولية | PDF - النسخة السعودية | للبحث في الأرشيف | مركز معلومات دار "الحياة" | مجلة "لها" | من نحن | إعلاناتكم | إتصل بنا | خدمة RSS